



الاستصحاب في الفكر اللغوي العربي دراسة إبستمولوجية لعلاقة الفرع بالأصل في ضوء المنهج الوصفي

Abdelkader Sellami

(Université de Tlemcen)

Résumé:

Cette étude a pour objectif d'interroger le rapport entre l'origine (la base) et les dérivés (les branches) reposant sur une approche basée sur ce qu'ont produit nos prédécesseurs, une première dans une recherche épistémologique. Notre approche renie toute terminologie moderne, étant donné que cette dernière s'est constituée sur la base d'une réflexion tenant compte des nouvelles recherches dans le domaine de la pensée linguistique arabe et ses caractéristiques, répondant à l'essence de l'approche descriptive développée par le Dr. Temmam Hassane. Nous ne laissons pas emportés par nos jugements et notre sentiment d'appartenance à la langue arabe, comme nous ne refusons à personne ses droits acquis par rapport à telle ou telle théorie scientifique.

ملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى استنطاق علاقة الأصل بالفرع وفق منهج ترجع أوليات التفكير في أصوله إلى الأسلاف بما يمثل خطوة رائدة في العمل الإبستمولوجي، وهو منهج لا يفترض فيه أن يسمي القضايا بما يُصطلح عليه اليوم، كون المصطلح يتشكل من الاهتمام بأبواب العلم من مثل ما جدّ في الفكر اللغوي العربي وبعض خصائصه وما وفر في الدرس الحديث منه وبما يكفل الوقوف على ماهية المنهج الوصفي كما انتهى إليه الدكتور تمام حسان، فلا نغلو في أحكامنا ولا تأخذنا عاطفة الانتماء للعربية، ولا ننكر على أحد نسبة علومه إليه.

Abstract:

This study aims to examine the relationship between the original (base) and derivatives (the branch) related to an approach that has as basis what our predecessors did, a kind of first epistemological approach. In fact, our approach denies any modern terminology constituted on the basis of a reflection taking account of a new research in the field of Arabic linguistic thinking and its characteristics, to the essence of the descriptive approach developed by Dr. Temmam Hassane. Let's not be carried away by our judgments and our sense of belonging to the Arabic language.



أولا/الأصل والفرع:

أ-الأصل لغة: الهمزة والصاد واللام أصول ثلاثة متباعد بعضها عن بعض. أحدها الأصل أساس الشيء، أي ما يقوم عليه ، وجمعه أصول لا يكسر على غير ذلك ، وهو اليأصول. يقال: أصل مؤصل وأصل الشيء: صار ذا أصل، وكذلك تأصل. وقال الكسائي (ت189هـ) في قولهم: " لاأصل له ولا فضل:" إن الأصل الحسب والفصل اللسان.³³⁵ ويقال: مجد أصل. والثاني الأصل: الحية العظيمة وهي أخت الحيات (*). وفي الحديث في ذكر الدجال (كان رأسه أصلة).³³⁶ والثالث: الأصيل: ما كان من النهار بعد العصر إلى المغرب ، ويقال له العشي، وجمعه أصل وأصلان وآصال، ويقال: أصيل وأصيلة وجمعها أصائل.³³⁷

ب-الأصل اصطلاحاً: تمتد فكرة الأصل، وهي عماد القياس وما يستتبعه من تعليل، إلى مختلف مجالات البحث اللغوي من نحو وصرف واشتقاق؛ كما يطال المسائل الفقهية التي كانت تنصرف إليه لاستقرار مسأله المتشعبة.³³⁸

وعلى الرغم من ترداد كلمة الأصل في كلام القدماء ، فإن معناها لا يخلو من شيء من الإبهام ؛ لأن كلاً منهم تطرق إليه بحسب تصوّره ومفهومه للظاهرة التي هو بصدد دراستها التعرّض إلى مفهوم الأصل بحدّ يحدّه.³³⁹ فنجد ابن جني في (باب مراجعة الأصل الأقرب دون

³³⁵ الميداني: مجمع الأمثال، 2/242.

ذهب ابن سيده في (باب الحيات نعوتها وأسمائها) إلى أن الأصل: " حية مثل الرّحاً مستديرة حمراء لا تمس شجرة ولا (*) عوداً إلا سمته ليست بشديدة الحمرة وتخط بذنبا في الأرض وتطحن طحن الرّحاً وتحوّز، والتحوّز: أن تطحن وتتقدّم ، ويقال: هي من دواهي الحيات وهي قصيرة عريضة مثل الفزخ تثب على الفارس والجمع أصل". ابن سيده:المخصص، 8/108-109.

³³⁶ ينظر: البخاري:صحيح البخاري، 4/232.

³³⁷ ابن فارس:معجم مقاييس اللغة، 1/109، مادة(أصل) ولسان العرب، 11/16-17، مادة(أصل) وينظر: الكفوي:الكليات، 1/188-189مادة (الأصل).

³³⁸ منى إلياس:القياس في النحو لمنى إلياس ، ص 32.

³³⁹ المرجع السابق، ص 32.



الأبعد) يطلق لفظة (الأصل) على الحال الأولى التي يكون عليها الشيء ، من ذلك تعليله لضمّ الذال في قولهم (مارأيتُهُ مُذُ اليَوْمِ) والأصل (مُذُ) بالتسكين: "إنهم لما حرّكوها لالتقاء الساكنين لم يكسروها ، لكنهم ضمّوها ؛ لأنّ أصلها الضمّ في " مُنذُ " ³⁴⁰.

أمّا ابن فارس فيرى الأصل في القول على موضوع اللغة وأوليتها ومنشئها، ثمّ على رسوم العرب في مخاطبتها ومالها من الافتنان تحقيقاً ومجازاً. فلو أنّ متوسّماً بالأدب لم يعلم ما إذا كانت العرب تتكلّم في التّقي بما لا تتكلّم به في الإثبات لنقّصه في شريعة الأدب عند أهل الأدب ؛ لأنّ ذلك يُرَدّد دينه أو يجزّئه لمأثم. كما أنّ متوسّماً بالتّحو لو سئل عن أصل القسّم وكَم حُرُوفه، وما هي الحروف الخمسة المشبّهة بالأفعال التي يكون الاسم بعدها منصوباً وخبره مرفوعاً؟ فلم يُجب لحكمّ عليه بأنّه لم يُشامَّ صناعة التّحو قطّ. ³⁴¹ وتابعه في ذلك ابن الأنباري (ت577هـ) الذي أورد حُجَجَ البصريين والكوفيين في كون أحد البنائين: الفعل والمصدر أصلاً للمشتقات. ³⁴²

أمّا أبو البقاء الكفوي (ت 1094هـ) فقد تعرّض لمفهوم الأصل اصطلاحاً ، فرآه يتمثّل في المعنى الأول الذي تووّل إليه كلّ صورة: فالأصل في الدين التوحيد ، والأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز ، والأصل في الألفاظ اختلافها ، والأصل في الكلام التصريح وهو الإظهار، أي إظهار معاني الكلام، والأصل في بحث الألفاظ هو النقل لا العقل. كما يتمثّل الأصل في الحكم الذي يستحقّه الشيء بذاته، فأصل الأسماء الإعراب، وأصل الإعراب أن يكون بالحركات ؛ وأصل الفعل والحرف البناء. ³⁴³

³⁴⁰ ابن جني: الخصائص ، 342/2.

³⁴¹ الصاحبى في فقه اللغة، ص 34-35.

³⁴² ابن النّباري: الإنصاف في مسائل الخلاف ، 240-236/1.

³⁴³ الكلبيات، 201-188/1، مادة (الأصل).



و على الرغم من تشعب فكرة الأصل ، إلا أنه يظل الأساس الذي ينبني عليه غيره ويُفْتَقَرُ إليه ولا يُفْتَقَرُ هو إلى غيره ³⁴⁴ ، فيصير بذلك الحكم الذي يستحقّه بذاته؛ وهذا ما نلمحه في مختلف الأصول والقضايا التي يرد فيها ذكر الأصل والفرع. وبهذا الاعتبار ، فهو يكاد أن يكون فكرة مجردة أو صورة ذهنية تتمثل هي وما يتفرّع عنها في تطبيقاتها المشخّصة. ³⁴⁵

ومّا سبق ذكره نخلص إلى القول: إنّ الأصل هو ما ينبني عليه غيره، وفي الاستعمال هو أولى حالات الحروف أو الكلمة قبل أن يطرأ عليها تغيير كأن يقال: إنّ أصل الألف في " قال " واو(قَوْل) وأصلها في "باع" ياء (بيع) ثمّ تحرّكت المادّتان وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً، وإنّ أصل باع "بيِع" ، فتحركت الباء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفاً. ³⁴⁶

ومبدأ الأصل يعتمد على مفهوم رياضيّ خصوصاً في الاشتقاقات التي بينها صلات القرابة ؛ لأنّ المسائل الفقهية إنّما تتفرّع عمّا يبتنى عليها وما قيس عليه من الأصول؛ كما يعتمد على نظرة تاريخية من حيث ظهور الصيغ في وقت أسبق من الصيغ التي تلتها. فمن حيث الدلالة على الكمية، أي الدلالة على الأشياء، نجد التعبير بصيغة الإفراد والتثنية والجمع بحيث جعل العلماء المفرد هو الأصل وما سواه فرعٌ له. ³⁴⁷ أمّا من حيث الدلالة على الجنس والعدد، فقد جعلوا المذكّر هو الأصل والمؤنث فرعٌ عليه. ³⁴⁸ وعند تعظيمهم الشيء وتحقيره نجد المكبّر والمصغّر، فالمكبّر هو الأصل والمصغّر هو الفرع. ³⁴⁹ كما نظروا إلى الفعل ودلالته الزمنية، فجعلوا الماضي والمستقبل والحال وأي زمن آخر هو فرعٌ عنها. ³⁵⁰

³⁴⁴ المرجع السابق، 188/1 مادة (الأصل) و حسن ظاظا: في قضايا فقه اللغة العربية ، ص 79.

³⁴⁵ منى إلياس: القياس في النحو، ص 32.

³⁴⁶ سمير نجيب اللبدي: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ص 11 ، مادة (أصل).

³⁴⁷ حسن ظاظا: في قضايا فقه اللغة العربية، ص 81.

³⁴⁸ منى إلياس: القياس في النحو، ص 34.

³⁴⁹ ظاظا: في قضايا فقه اللغة العربية ، ص 80.

³⁵⁰ ينظر: ز عبد الجبار توامة: من الفعل في اللغة العربية قرأته وجماته ، ص 3.



ومّا تقدّم من أمثلة يتبيّن لنا أنّ أحكام علماء اللغة بأنّ الأصل في بعض الأشياء كذا ولعلّه كذا، ليست من باب تسليط الاعتبارات العقلية على أوضاع اللغة، وإنّما هي أحكام وقوانين مستنبطة من استقراء الكلام وعقد المقارنات. ومّا يصدّق قولهم هذا أنّ هذه الأشياء التي سمّوها أصولاً تقدّم لنا تفسيراً بيّناً للظواهر التي نلمحها في الواقع وهو تفسير تتقبّله البداهة.³⁵¹

ج-الفرع لغة :

الفاء والراء والعين أصل صحيح يدلّ على علوّ وارتفاع وسموّ وسُبُوغ. فالفرعُ ، وهو أعلى الشيء ، ويجمع على فروع، لا يكسر على غير ذلك. وفرعتُ الشيءَ فرعاً: علّوته. ويقال: أفرعَ بنو فلان ، إذا انتجعوا في أول الناس. والفرعُ المالُ الطائلُ المعدّ، والأفرعُ : الرجلُ التامُّ الشعرُ وقد فرَع.³⁵²

د- الفرع اصطلاحاً : الفرع هو ما كان جزءاً من الأصل ، أي أنّه متفرّع عنه ، فالصّмир " هو" مثلاً أصل في الدلالة على الغالب وله فروعٌ تتفرّع عنه، وهي كلّ ضمائر الغائبين من مثل: هيّ وهما وهنّ. وعلى ذلك فالفرع هو ما يبني على غيره.³⁵³

هـ - علاقة الأصل بالفرع:

لم يُغنِ اللغويون القدماء بمعنى الكلمة وما تدلّ عليه فحسب، بل اعتنوا كذلك ببحثي الاشتقاق والأبنية المتعلقين بشكل الكلمة ومادتها. على أنّ من الصعوبة بمكان الفصل التام بين المبني والمعنى وإفراد كلّ منهما بالبحث دون ملاحظة الوجه الآخر.³⁵⁴ وعلى هذا الأساس، فإنّ بحث الاشتقاق وردّ الألفاظ إلى أصولها لا بدّ أن يتغيّر فيه المعنى، فهو الذي يعين على

³⁵¹ منى إلياس: القياس في النحو، ص 46.

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 491/4، مادة (فرع) وابن منظور: لسان العرب، 246/8، مادة (فرع).

³⁵³ ابن منظور: لسان العرب، 246/8، مادة (فرع).

³⁵⁴ حسن ظاظا: في قضايا فقه اللغة العربية، ص 79.



معرفة الأصل ويدلّ عليه.³⁵⁵ وقد رأى ابن فارس أنّ للغة العرب مقاييس صحيحة وأصولاً وفروعاً تُحْمَلُ عليها³⁵⁶، ثمّ قال: إنّ لعلم العرب أصلاً وفرعاً. أمّا الفرع، فمعرفة الأشياء والصفات كقولنا: فرسٌ ورجلٌ. وأمّا الأصل، فهو القول على موضوع اللغة وأوليئها ومنشئها، ثمّ على رسوم العرب في مخاطبتها وما لها من الافتتان تحقيقاً ومجازاً.³⁵⁷

والناس عنده في "ذلك رجلان: رجلٌ شُغِلَ بالفرع فلا يعرف غيره، وآخر جمع الأمرين معاً، وهذه المرتبة العليا، ذلك أنّ طالب العلم العُلويّ يكتفي من سماء "الطويل" بالطويل، ولا يضيره أن لا يعرف "الأشقى" (الطويل) و"الأمق" (الطويل طويلاً فاحشاً)، وإن كان في علم ذلك زيادةً فضلٍ. وإنّما لم يضره ذلك خفاء ذلك عليه؛ لأنّه لا يكاد يجد منه في كتاب الله جلّ ثناؤه شيئاً فيُخَوِّجُ إلى علمه؛ ويقلُّ مثله أيضاً في ألفاظ رسول الله، إذ كانت ألفاظه هي السهلة العذبة."³⁵⁸

وإذا كان ابن فارس قد ركّز على وجوب المعرفة لما يصبّ في حقل الأصول، فإنّه في المقابل رأى في عدم إظهار المراد من سؤال ما يتعلّق بالفروع أمراً مسوغاً ولا يعدّ نقصاً شائناً؛ لأنّ الكلام العربي أكثر من أن يحصى، وإن كان العلم به زيادة فضل؛ إذ لو سئل متوسّم بالأدب عن "الجزم والتسويد"، كإحدى الطّرق في علاج النّوق، فتعقّف في أمر الإجابة لم ينقصه ذلك عند أهل الأدب شيئاً؛ لأنّ الأمر متعلّق بالفروع دون الأصول.³⁵⁹

أمّا ما نصّ عليه ابن جنّي في الخصائص في (باب في أنّ ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب) قائلاً: "ألا ترى أنّك لم تسمع أنت ولا غيرك اسم كلّ فاعل ولا مفعول، وإنّما

³⁵⁵ محمد المبارك: فقه اللغة وخصائص العربية، ص 153.

³⁵⁶ معجم مقاييس اللغة، 1/1.

³⁵⁷ الصاحبى في فقه اللغة، ص 33-34.

³⁵⁸ المرجع السابق، ص 34.

³⁵⁹ المرجع السابق، ص 34-35.



سَمِعَتْ الْبَعْضَ فَحَسَّتْ عَلَيْهِ غَيْرَهُ. فَإِذَا سَمِعَتْ (قَامَ زَيْدٌ) أَجَزَتْ (ظَرَفَ بَشْرٌ) ، و(كَرَمَ خَالِدٌ) ، فيفهم منه أنّ الفرع هو المقيس وأنّ الأصل هو المقاس عليه ³⁶⁰ ، وهو ما جعله النحاة واللغويون ركناً من أركان القياس. ³⁶¹

وقد ذهب بعض الدارسين المحدثين إلى أنّ المعاجم العربية، فيما يبدو، لم تقتصر على هذا النوع من الدراسة لمعاني الألفاظ ولم تحاول ربط أواصر القربى بين المفردات التي تشترك في أصل واحد، ولا تحليل تعدّد معاني الكلمة الواحدة أو الرّبط بينها، إلّا إذا استثنينا "معجم مقاييس اللغة" لابن فارس ، الذي هو مثلّ رائع للمعاجم التي تعنى بمعاني الألفاظ، ومحاولة الرّبط بينها وإعادتها إلى أصول تفرّعت عنها. ³⁶² فقد لاحظ ابن فارس أنّ الناس ألفوا في جوامع اللغة ما ألفوا، ولم يُعربوا في شيءٍ من ذلك عن مقياس من المقاييس ولا أصلٍ من الأصول الذي أوماً إليه وهو بابٌ من العلم جليل وله خطرٌ عظيمٌ. وقد صدر كلّ فصل من "معجم المقاييس" بأصله الذي يتفرّع منه مسأله. ³⁶³ وهو يعني بالمقاييس ما يسميه بعض اللغويين (الاشتقاق الكبير) الذي يرجع مفردات كلّ مادة إلى قدر معنوي مشترك بينها، وإن كان لا يعتمد أطراد القياس في جميع مواد اللغة. ³⁶⁴ وعن ذلك يقول ابن فارس: "أجمع أهل اللغة، إلّا من شدّ منهم، على أنّ للعرب قياساً، وأنّ العرب تشتقّ بعض الكلام من بعض. وأنّ اسم الجنّ من الاجتنان. وأنّ الجيم والتّون تدلّان أبدأً على السّتر. تقول العرب للدّرع: جُنّة...وهذا جنينٌ، أي هو في بطن أمّه أو مقبورٌ". ³⁶⁵

³⁶⁰ ابن فارس:الخصائص ، ص 357/1.

³⁶¹ ينظر: ابن هشام الأنصاري:شرح جمل الزجاجي،ص 355 و السيوطي:الاقتراح في علم أصول النحو، ص 96 والصاحبي في فقه اللغة، ص 66-67).

³⁶² محمد المبارك:فقه اللغة وخصائص العربية ، ص 155.

³⁶³ ابن فارس:معجم مقاييس اللغة، 1/1.

³⁶⁴ ينظر: مقدمة تحقيق المرجع السابق، 1/39.

³⁶⁵ ابن فارس:الصاحبي في فقه اللغة، ص 66-67.



والحق أنّ فكرة الأصول في معجم مقاييس اللغة هي حصيلة العدول عن نظام التقاليد الذي كان قائماً عند رائدي المدرستين المعجميتين: الأولى والثانية، فعدت بذلك أولى الخصائص التي انفرد بها معجم ابن فارس عن سائر المعاجم الأخرى وتبناها فكرة دعا إليها وعمد إلى بلورتها في معالجة مواد كتابه بعد أن كان للخليل وابن دريد فضل الإشارة والتمهيد لها في بعض مواد كتابيهما " العين"، و"الجمهرة" بحكمهما مصدرين عاد إليهما ابن فارس في جمع أغلب مواد اللغوية.³⁶⁶

على أنّ المتصفح لمعجم مقاييس اللغة يجد موادها إما على أصل واحد وإما على أصلين أو ثلاثة أصول، وقد يتعداها في ذلك إلى أربعة أو خمسة أصول³⁶⁷ لينتبه فيها على ما ليس بأصل، كأن يكون الحرف محوياً من حرف آخر. ومثال ذلك قوله في (أذ): "وأما الهمزة والنال فليس بأصل، وذلك أنّ الهمزة فيه محوولة من هاء".³⁶⁸ كما يلاحظ أنّه قدّم هذه الأصول، ثمّ بنى عليها فروعاً، ومن ذلك قوله: "الهمزة والخاء والراء أصل واحدٌ إليه ترجع فروعُه، وهو خلاف التقدّم".³⁶⁹ وحملُ الفروع على الأصول يكون لعلاقة تربط بينها لفظاً ومعنى، وإن غابت العلاقة عدّها شاذّة نحو قوله في مادة (هدج) الدالة على ضربٍ من المشي والحركة: "ومّا شدّ عن هذا الأصل التهدُّج: تقطُّعُ الصَّوْتِ".³⁷⁰

وإذا كان ابن فارس قد عمد إلى التدليل على مبدأ الأصالة في بعض الكلمات والفرعية في بعضها الآخر أو حملها على تلك الأصول، معلناً عن ميلاد نظرية أراد لها أن تكون ذات معالم

ينظر على سبيل المثال: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 37/2، مادة (حذر) ويوازن بما جاء منها في العين، 200-199/3،³⁶⁶ مادة (حذر) و(ينظر على سبيل المثال: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 26/6، مادة (هيف) ويوازن بما جاء منها في ابن دريد: جمهرة اللغة، 162/3، مادة (هيف).

ينظر على سبيل المثال: ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 10/1، 12، 18، 141، 187، المواد (أز، آخ، آل، أنى، بل).³⁶⁷

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 12/1.³⁶⁸

المرجع السابق 70/1، مادة (أخر).³⁶⁹

المصدر السابق، 44/6، مادة (هدج).³⁷⁰



واضحة خاضعة للدراسات والمناقشات الجادة حولها، فإنّ مثل هذه الاستثناءات، كما أشرنا قبل، لا تعدو أن تكون ضرباً من الاستقراء غير التام لموادّ كتابي "العين" و "الجمهرة" كما سقطت إلى ابن فارس في "مقاييس اللغة" ممثلاً لمعجم الألفاظ، وتغييباً كذلك لحقّ معاجم المعاني في التدليل على الأصول والفروع على نحو ما نجده في كتاب المخصص الذي يعدّ أكثر أمثلتها أهمية على نحو ما سننثته من استنطاقنا لمواده .

فمن عبارات التركيز على عبارات العلاقة بين الأصول والفروع ما ورد في باب (الإفراع والخوف) من المخصص: "صاحب العين: الحذر: الحيفة، وقد حذرتُه حذراً، ورجلٌ حذِرٌ وحذِرٌ وحاذِرٌ وحاذِرٌ وحاذِرٌ: شديدُ الحذر، وحاذِرٌ: مُتَأَهِّبٌ مُعَدُّ، وفي التنزيل: (وإنّا لجميع حاذِرُونَ) ³⁷¹ أي مُعَدُّون، ومن قرأ (حذِرُونَ) أراد فزِعُونَ" ³⁷².

وجاء في باب (الأرض الغليظة من غير ارتفاع والصُّلبة) من أنّ " أبو عبيد: الحذِرِيَّةُ : الأرضُ الحَشِيئَةُ. ابن دريد: وهي الحذِرِيَاءُ" ³⁷³. وهو ما أورده ابن فارس ضمن مادة (حذر)، فقال: " الحاء والذال والراء أصل واحد، وهو من التَّحَرُّزِ والتَّيَقُّظِ. يقال: حذِرٌ يُحذِرُ حذراً، ورجلٌ حذِرٌ ومُحذِرٌ وحذِرِيَانٌ: متَيَقِّظٌ متَحَرِّزٌ. وقُرِئَتْ: (وإنّا لجميع حاذِرُونَ) قالوا:

بالمَدِّ لغتان، علماً أنّ كتابتهما في رسم (حاذِرُونَ) بالقَصْرِ (والآية 56 من سورة الشعراء. وتجدر الإشارة إلى أنّ و ³⁷¹ المصحف بطرح الألف، وهي بالألف قراءة الكوفيين وابن مسعود وأبي عمرو بن العلاء وابن ذكوان وهشام من طريق الداجوني، وبطرحها عند الباقيين. يقال: حذِرٌ يُحذِرُ فهو حذِرٌ، وحاذِرٌ، إلّا أنّ " حاذِراً" فيه معنى الاستقبال. وقد قيل: إنّ معنى " حاذِرُونَ" خائفون. ومعنى "حاذِرُونَ" مستعدّون بالسلاح وغيره من آلة الحرب. ينظر: القيسي: الكشف عن وجوه القراءات السبع، 151/2 و أبو البقاء العكبري: إملاء ما منّ به الرحمن، 167/2م و القباقبي: إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز، ص 335 و الفراء: معاني القرآن، 280/2.

³⁷² ابن سيده: المخصص، 125/12.

³⁷³ المرجع السابق، 85/10.



مُتَاهِبُونَ و(حَذِرُونَ) :خائفون.والمحدورة الفَرَعُ. فَأَمَّا الحَذِرِيَّةُ :فالمكان الغليظ. ويمكن أن يكون قد سمي بذلك لأنه يُحَذِرُ المشي عليه".³⁷⁴

فالملاحظ على هذه المادة أنّ ابن سيده كابن فارس يعدّ صيغة (حذِر) أصلاً حُجِلَ عليه فرَعٌ واحدٌ من جهة اللفظ وذلك حين قال: "الحَذِرِيَّةُ" ومثلها(الحَذِرِيَاءُ)، بزيادة لم تكن من المادة المكوّنة للأصل. أمّا من جهة المعنى ، فكون المشي ومجرّد الوقوف على الأرض الحشنة كما دلّت عليها عبارة أبي عبيد يستوجب بشكل تلقائي الحيطّة والحذر من وقوع ما لا تحبّذه النفس، وهو أمر مفزعٌ إذا ما قيس بالأرض التي لا تنوء بها. وذلك ضربٌ من المغامرة التي تتطلّب كثيراً من الاستعداد والإعداد، وهو ما أوضحه الخليل تفسيراً لقوله تعالى: (وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ)، أي مستعدّون.³⁷⁵ وهو ما ذهب إليه الفراء في تفسيره لها من وجهين بقوله: "و(إِنَّا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ) يقولون: مُؤدُونَ في السّلاح. يقول: ذُؤوا أداة من السّلاح و(حَذِرُونَ) وكأَنَّ الحاذر:الذي يُحَذِرُك الآن.وكأَنَّ الحَذِرَ: المخلوق حَذِراً لا تلقاه إلاّ حَذِراً".³⁷⁶ و" الحَذِرِيَّةُ" لفظ مؤنّثٌ على وزن " الفِعْلِيَّةُ" فرَعٌ محمولٌ على الأصل " حَذِرٌ"، وهو من مسموع كلام العرب أتى به ابن فارس و ابن سيده قياساً على ما وجداه موفوراً عند كلٍّ من الخليل و أبي عبيد من أنّ بعض قبائل العرب، كقبيلة بني أسد بن خزيمه، كانوا يطلقون اسم "حُذَار" على قاضيهم أبي ربيعة³⁷⁷ و لم يكن ذلك منهم جزافاً ؛ لأنّ القاضي يُحْتَكَمُ إليه

³⁷⁴ ابن فارس:معجم مقاييس اللغة، 37/2.

³⁷⁵ الخليل بن أحمد:العين، 199/3، مادة(حذِر).

³⁷⁶ الفراء:معاني القرآن ، 280/2 وينظر: إملاء ما منّ به الرحمن ، 167/2 و ، محمد علي الضبّاع: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس ، ص 309 وسميح عاطف الرّين: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم ، ص 224).

³⁷⁷ الخليل بن أحمد:العين، 200/3، مادة(حذِر).



ولابد أن يتّصف في أحكامه باليقظة والاحتراز من أن يخرج عن حدود العدل في حق من يقضي له أو يقاضيه.

وجاء في باب (الغضب) من المخصص: " أبو عبيد: غَضِبْتُ له إذا كان حياً، فإن كان ميتاً قيل: غَضِبْتُ به... وقال: رجلٌ غَضِبْتُه: يَغْضِبُ سريعاً. ابن دريد: وغَضِبْتُه وقال: فصل قومٌ من أهل اللغة بين الغَيْظِ والغَضَبِ فقالوا: الغيظُ أشدُّ من الغضبِ ، وقال قومٌ: سَوْرَةُ الغَضَبِ أوَّلُهُ. صاحب العين: رجلٌ غَضِبٌ وغَضِبٌ وغَضُوبٌ . سيديويه: هو غَضْبَانٌ والجمع غَضَابٌ ، وقد أغضبه ذلك. وقال ابن جني: الغضبُ مشتقٌّ من غَضَبَةِ الرَّأس وهي جِلْدَتُهُ ، أي صار حَمِيَّ قلبه إلى جِلْدَةِ رأسه كما قيل : أَيْفَ أي حَمِيَّ أَنفُهُ غَضَباً. صاحب العين: رجلٌ غَضُوبٌ وامرأةٌ غَضُوبٌ : عَبُوسٌ منه " ³⁷⁸.

وجاء في بابي (الجمال وما فيها) و(نعوتها، أي الصخر، من قبل رخاوتها وتنخرها وعرضها): "صاحب العين: الغضبة: الصخرة الصلبة المركبة في الجبل المخالفة له. قطرب: الغضب والغضبة: الصخرة الرقيقة. ابن دريد: هي صخرة مستديرة... وقد تقدّم أنّ الغضبة طائفة من الجبل". ³⁷⁹ كما أورد ابن سيده في (باب الحيات ونعوتها وأسمائها) فأورد قول صاحب العين من أنّ "الغضوب: الحية الحبيثة". ³⁸⁰

ومّا جاء منه أصلٌ واحدٌ وحمل عليه فرعٌ كذلك قولابن فارس: "الغين والضاد والباء أصلٌ صحيح يدلُّ على شدّة وقوّة. يقال: إنّ الغضبة: الصخرة الصلبة. قالوا: ومنه اشتقَّ الغضبُ ؛ لأنّه اشتداد السُّخْطِ . يقال: غَضِبَ يَغْضِبُ غَضَباً، وهو غَضْبَانٌ وغَضُوبٌ. ويقال: غَضِبْتُ لفلانٍ، إذا كان حياً ؛ وغَضِبْتُ به، إذا كان ميتاً... ويقال: إنّ الغضوب: الحية

³⁷⁸ المخصص، 120/13.

³⁷⁹ المرجع السابق، 74، 96/10.

³⁸⁰ المرجع السابق، 8، 111.



العظيمة.³⁸¹ و يبدو من استنطاقنا لمادة (غَضِبَ) أنّ معناها في أصل الوضع يتّصل بالصخرة الصلبة لما فيها من شدة وقوة وبأس وهو معنى حسيّ، ثمّ حُمِلَ عليه الغضب أصلاً مجرداً ، لأنّه يبدأ سَوْرَةً ويشْتَدُّ غَيْظاً وسُخْطاً. كما حُمِلَ عليه فرعٌ يُطلق على الأفعى في خبثها أو عَظَمِها. على أنّ تتبّعنا لهذا الفرع المقيس من حيث المبنى والمعنى أوقفنا على أنّه مكوّن من الجذور الثلاثة المكوّنة لأصل المادة مضاف إليها حرفٌ مُنَوِّع للمعنى هو الواو. أمّا من حيث المعنى ، فالعلاقة وطيدة بينه وبين الشدّة والقوّة اللتين تدلّان عليها المادة الأصلية ؛ وذلك لاتّصاف الحيّة أو الأفعى بالخبث (دون العَظْم) الذي تستتبعه شدة اللدغ الواقع على المصاب وخطورة ذلك عليه ، وقد وجد فيه ابن سيده سبباً ضعيفاً في إحداث الأذى ، وهو ما استبعده ابن فارس نفسه حين صدّره بقوله: " ويقال: إنّ العُضُوب : الحيّة العظيمة".

ثلاثا/الأصل بين المعيارية والوصفية:

استنطق ثمام حسان "أصول الفكر اللغوي العربي"، فأسهب القول في مضامينه من منطلق النحو وفقه اللغة والبلاغة، فكانت فكرة "الاستصحاب" (*) بمثابةً لأصل الوضع، وأصل القاعدة، والعدول عن الأصل، والردّ إلى الأصل من أهمّ دلائله، فأنتهى، بعد سوق شواهد وتحليل أخرى، إلى القول: "إنّنا الأصول من تجريدات النّحاة، وهل يُمكن للعربيّ الفصيح حين ينطق بلفظ (قال) أن يفكر في الأصل (قول) أو أن يقوده نطق (كيساء) إلى التفكير في (كساو)، أو أن يكون له حدّس أو وعيٌّ بالأصل (بناي) بدلاً من كلمة (بناء)؟ وأنّ هذه

ابن فارس: معجم مقاييس اللغة، 4/428، مادة (غَضِبَ).³⁸¹

وهي تعني في عرف النّحاة: إبقاء حال اللفظ على ما يستحقّه في الأصل، عند عدم دليل التقل عن الأصل. وقد استدلّوا به (*) على إعراب الاسم المتّمّن، وبناء فعل الأمر. ينظر: السيوطي: الاقتراح في علم أصول النحو، ص 172-175 و محمد حسين آل ياسين: الدراسات اللغوية عند العرب، ص 375-376.



الأصول من اختراع النحاة بنوها على علاقة التقاطع بين أصل الاشتقاق وأصل الصيغة، فهي إطارٌ من أطر اللغة لا عملٌ من نشاط الكلام".³⁸²

غير أن ما ذهب إليه لا يستقيم، في رأينا، من جهة:

أ-أنه يجوزُ في لغة العرب، أن يستعملَ الفرعُ وإن لم يُستعمل الأصل، ولا يُخرج الأصلُ عن كونه أصلاً ولا الفرعُ عن كونه فرعاً، ألا ترى أن العرب استعملت المضارع (يدع) دون الماضي (ودع) في معنى (ترك) واسم الفاعل من (يذر) واقتصارهم على (تارك) على (تارك)، وليس ذلك لأن (ترك) أفصح من: ودع وذر، ولأن الفصح ما أفصح عن المعنى، واستقام لفظه على القياس لا ما كثر استعماله".³⁸³

ب-أنهم استعملوا لفظ الجمع الذي هو فرعٌ، وإن لم يستعملوا لفظ الواحد الذي هو الأصل، ولم يخرج بذلك الواحد أن يكون أصلاً للجمع، وذلك بأن قالوا: (طيرٌ عبايدٌ)، أي متفرقة، وكذلك أيضاً قالوا: "طيراً أباليل"، قال تعالى: "و أرسل عليهم طيراً أباليل" أي³⁸⁴ جماعاتٍ في تفرقة، وهو جمعٌ لا واحد له في قول الأكثرين، وزعم بعضهم أن واحدها إبل، وكلاهما مخالفٌ لقول الأكثرين، والظاهر أنهم جعلوا واحده إبولاً قياساً وحماً، لا استعمالاً³⁸⁵ وثقلاً، والخلاف إنما وقع في استعمالهم لا في قياس كلامهم". ولعل مثل هذه الشواهد وغيرها ما حمل ابن جني إلى حد الإقرار بالتزام صحة قياس الفروع على فساد الأصول، أي صحة جواز القياس على أصول فاسدة وهو ما عالجها ابن جني ضمن (باب في المستحيل، وصحة قياس الفروع على فساد الأصول) وأجازه، فذهب إلى إمكان ذلك. فمن أمثلة معالجته الموضوع

³⁸² تمام جسان:الأصول، ص159.

³⁸³ المزهر، 208/1. السيوطي:

³⁸⁴ الآية 3 من سورة الفيل.

³⁸⁵ ابن الأباري:الإنياف في مسائل الخلاف، 241/1.



القياس بمنظوره الخاص قوله: "كأن يقول لك قائل: لو كانت الثاقفة من لفظ (الثنوء) (*) ما كان يكون مثالها من الفعل. فجوابه أن تقول: علفة وذلك أن النون عين والألف منقلبة عن واو، والواو لام الثنوء، والقاف فاءه. ولو كان الثنوء مشتقاً من لفظ الناقفة لكان مثاله لفع.³⁸⁶ فهذان أصلان فاسدان، والقياس عليهما أو بالفرعين إليهما".³⁸⁷ ولا يكون ذلك، في رأينا، إلا إذا كانت "الفروع أبداً تنحط عن درجة الأصول".

الخاتمة:

وبعد، فإن بحث الاشتقاق ورد الألفاظ إلى أصولها لا بد أن يتغير فيه المعنى، فهو الدليل الذي يعين على معرفة الأصل، كما أن حاجة الفرع للأصل هي نفسها حاجة الدال للمدلول، إذ أن كل محاولة لبناء الفروع تقوم بالضرورة على الأصول، مثلها في ذلك مثل اللغة التي تعد ديوان عقل الأمة وخزان تراثها، إذ يصعب علينا فهمها دون الرجوع إلى أصولها الأكثر تمكناً، والتي لم يكن الأسلاف في أمرها مقصرين.

المصادر و المراجع

* القرآن الكريم.

- آل ياسين، محمد حسين: الدراسات اللغوية عند العرب إلى نهاية القرن الثالث، مكتبة الحياة، بيروت، ط1، 1980م.

- إلياس، منى: القياس في النحو مع تحقيق باب الشاذ من المسائل العسكرية لأبي علي الفارسي، ط1، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1405هـ - 1985م.

- ابن الأنباري، أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد: لإنصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين الأنباري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ومعه كتاب الإنصاف، من تأليف المحقق دار الجليل سنة 1982م.

(*) الثنوء: العذق بما عليه الرطب، لأن ملازم لشجرته. و(القنا): أحديدات في الأنف. والفعل قني قني. ويمكن أن تكون القنأة من هذا، لأنها تنصب وتثقف. ينظر معجم مقاييس اللغة، 30/5، مادة (قنا) والقاموس المحيط، 383/4، مادة (الثنوء).

³⁸⁶ الخصائص، 328، 339/3.

³⁸⁷ الإنصاف في مسائل الخلاف، 60/1.



- ابن جني، أبو الفتح عثمان: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، ط2، دار الهدى للطباعة والنشر، بيروت، 1950 م.
- ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن: جمهرة اللغة، ط1، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن، دار صادر، 1345هـ.
- ابن سيده، الحسن علي: المخصص، المطبعة الأميرية، بولاق، القاهرة، 1317هـ-1321هـ.
- ابن فارس، الحسين أحمد بن زكريا: الصحاحي في فقه اللغة و سنن العرب في كلامها لأبي، تحقيق عمر فاروق الطباع، ط1، مكتبة المعارف، بيروت، 1414 هـ- 1993 م.
- ابن هشام الأنصاري، جلال الدين: شرح جمل الزجاجي، دراسة وتحقيق علي محسن مال الله، ط1، عالم الكتب، بيروت، 1405هـ-1985م.
- ابن فارس، الحسين أحمد بن زكريا: معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، 1979 م.
- ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين: لسان العرب، دار صادر، بيروت.
- البخاري، عبد الله محمد بن إساعيل: صحيح البخار بحاشية أبي الحسن نور الدين محمد عبد الهادي السندي، دار المعرفة للطباعة و النشر، بيروت.
- بلعيد، صالح: في قضايا فقه اللغة العربية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر.
- توأمة، عبد الجبار: زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجماته - دراسة في النحو العربي-، ديوان المطبوعات الجامعية، 1994م.
- حسان، تمام: الأصول دراسة استمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي النحو فقه اللغة، البلاغة، لتام، ط1، دار الثقافة، الدار البيضاء، 1401هـ- 1981م.
- الزاغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد معجم مفردات ألفاظ القرآن، تحقيق نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، بيروت.
- الضباع، محمد علي: تنوير المقباس من تفسير ابن عباس تنوير المقباس من تفسير ابن عباس، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
- ظاظا، حسن: كلام العرب من قضايا اللغة العربية، دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، ط2، الدار الشامية للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1410هـ-1990م.
- الزين، سميح عاطف: تفسير مفردات ألفاظ القرآن الكريم مجمع البيان الحديث، دارالكتاب اللبناني، ط2، مكتبة المدرسة بيروت، لبنان، 1404هـ-1984م.
- السيوطي، جلال الدين:
- * الاقتراح في أصول النحو، تصحيح عبد الرحمن بن يحيي، دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكن، الهند، 1359م.
- * المزهر في علوم اللغة و أنواعها، شرح و تعليق محمد أحمد جاد المولى و آخرون، دار الجيل، دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت.
- العكبري، أبو البقاء عبد الله بن الحسين بن عبد الله: إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1399هـ-1979م.



- الفراء ، زكريا يحيى بن زياد :معاني القرآن ، تحقيق علي النجار و أحمد يوسف نجاتي، ط2، عالم الكتب، بيروت، 1985م.
- الفراهيدي، أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد العين ، تحقيق إبراهيم السامرائي ومهدي الخزومي، دار الرشيد للنشر، وزارة الثقافة والإعلام، الجمهورية العراقية، 1980م.
- الفيروز آبادي، مجد الدين محمد بن يعقوب: القاموس المحيط ، مؤسسة فن الطباعة ، مصر.
- القباقي، محمد بن خليل بن أبي شمس الدين بن عبد الله :إيضاح الرموز ومفتاح الكنوز الجامع للقراءات الأربعة عشر ،ادراسة وتحقيق فرحات عياش ، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون ، الجزائر، 1995م.
- القيسي، أبو محمد مكّي بن أبي طالب: الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها، تحقيق محيي الدين رمضان، ط4، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1407هـ- 1987 م.
- الكفوي، أبو البقاء الكليات ،مقابلة و إعداد عدنان درويش و محمد المصري، منشورات وزارة الثقافة و الإرشاد القومي، دمشق، 1982 م.
- اللبدي محمد سمير نجيب: معجم المصطلحات النحوية والصرفية ، ط2، مؤسسة الرسالة ودار الفرقان، بيروت، لبنان ، 1406هـ- 1986م .
- المبارك، محمد: فقه اللغة وخصائص العربية دراسة تحليلية للكلمة العربية وعرض بمنهج العربية الأصيل في التجديد والتوليد، ط5، دار الفكر، بيروت.
- الميداني، أبو الفضل النيسابوري : مجمع الأمثال تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، منشورات دار النصر، دمشق ، بيروت.